الكتب المؤلفة في الرجال

لقد قلنا أن الحديث يتكون من سند ومتن ففي السند ننظر إلى عدالة الرواة وضبطهم والضعف في الحديث من هاتين الصفتين فأما أن يكون لسقط في الإسناد أو لطعن في الراوي وفي كلا الحالتين لا نعرف ذلك إلا بمعرفة سيرتهم ومشافهتهم لشيوخهم.

ومن هنا وجد العلماء أنه لا بد من الكلام عن الرواة جرحاً وتعديلاً وعن بلدانهم وشيوخهم للتأكد من صحة مروياتهم في الحديث.

ومن هنا نشأ علم الرجال أو علم الجرح والتعديل سواء في جميع الطبقات أم في طبقة معينة.

وأما أشهر المؤلفات في الرجال فهي على أنواع وهي :-

(١) المصنفات في معرفة الصحابة : ألفو في الصحابي لبيان الراوي هل هو صحابي أم لا وهل ثبتت صحبتهم أم لا.

(٢) المصنفات في الطبقات : وهنا يقدمون الصحابة الذين هاجروا مع الرسول ﷺ وكانوا في سن الرشد في مكة مثل الخلفاء الراشدين ثم الطبقة التي دونهم في السن وهم أواسط الصحابة الذين أدركوا النبي ﷺ وأخذو عنه شيئاً من الأحاديث ثم صغار الصحابة الذين لا يكادون يروون إلا حديثا أو حديثين مثل محمد بن الربيع . ثم يأتي بعدهم كبار التابعين مثل سعيد بن المسيب ثم أواسط التابعين مثل الحسن البصري وابن سيرين ثم صغار التابعين مثل الزهري وقتادة.

والصحابة برمتهم يعتبرون عدولاً، هم لوحدهم يعتبرون طبقة والتابعين طبقة وأيضا تقسم الطبقة إلى طبقات وهكذا.

(٣) المصنفات في رواة الحديث عامة.

(٤) المصنفات في رجال كتب مخصوصة: مثل الكتب الستة فهي دواوين الإسلام التي تضم معظم الأحاديث وبخاصة الأحاديث التي يحتج بها في الأحكام.

وغير الكتب الستة قد يقتصر المصنف على ذكر رجال كتاب معين.

(٥) المصنفات في الثقات : فيقتصرون فقط على ذكر الثقات دون الضعفاء.

(٦) مصنفات في الضعفاء خاصة .

(٧) مصنفات في رجال بلدان مخصوصة مثل تاريخ دمشق لابن عساكر.

حين تعرف أن فلانا صحابياً أو غير صحابي ، نعرف هل هذا الحديث متصل أو لا ؟ فإن سقط الصحابي كان الحديث مرسلاً [1].

ولو نظرنا إلى كتب الطبقات نجد أنهم جعلوا هذه الطبقة طبقة معينة ومميزة فهي تتحدث عن الصحابة أولا ثم عن التابعين وهكذا مثل سير أعلام النبلاء ولكن هناك من الكتب التي لم تدخل مع الصحابة غيرهم وسنتكلم عن المطبوع كاملا من هذه الكتب:

١ – الاستيعاب في معرفة الأصحاب

للحافظ أبي عمر بن عبد البر الأندلسي المتوفى سنة ٤٦٣هـ . يظهر من عنوان كتابه انه أراد جمع الصحابة الذين رووا عن النبي ﷺ فأراد أن يكتب كتاباً شاملاً للصحابة لكن إن نظرنا الى عدد التراجم فيه وجدناها ٣٥٠٠ ترجمة وأما عدد الصحابة الذين شهدوا حجة الوداع مع النبي ﷺ كان يبلغ عددهم ١٢٤٠٠٠ صحابي وهذا يبين أن ابن عبد البر لم يستوعب جميع الصحابة الذين كانوا في عهده ﷺ وليس معنى ذلك أن من لم يذكره ابن عبد البر في كتابه ليس بصحابي .

إذا ابن عبد البر فاته الشيء الكثير كما ذكر ذلك ابن حجر، ويذكر ابن حجر أن جميع من أستوعبهم ابن عبد البر في كتابه يبلغ عددهم ٣٥٠٠ ترجمة حسب إحصائية ابن حجر، لكن بترقيم طبعة مكتبة نهضة مصر قالوا انه استوعب ٤٢٢٥ وهذا بلا شك هو الاصوب لانه معتمد على ترقيم دقيق فلعل ابن حجر حذف المكرر في الكنية والاسم او تجوز في العدد او غير ذلك او لاختلاف النسخ.

ومن الامور المذكورة عن كتاب الاستيعاب انه كدر كتابه بذكره كثيرا مما شجر بين الصحابة مما قد يظن ان ابن عبد البر ممن تناول صحابة رسول الله ﷺ وانه من الشيعة ومن ذلك تقديمه لعلي على عثمان ولكن نقول :–

---

١ / ونستطيع أن نقول : إن لكتب الصحابة فائدتين (أو : فوائد معرفة الصحابة) وهي :

(أ) معرفة الحديث الموصول من الحديث المرسل ، فإن ثبت أن الراوي صحابي فهو موصول ، وإن كان تابعيا فهو مرسل.

(ب) معرفة هل الحديث موقوف أو مقطوع ، فالموقوف قول الصحابي وفعله والمقطوع هو قول التابعي وفعله.

(ج) إذا عرفنا أنه صحابي فلا نحتاج الى البحث عن حاله لأن الصحابة كلهم عدول بخلاف غيرهم فنحن نحتاج إلى البحث عن أحوالهم.

ان الجمهور من اهل السنة والجماعة قدموا عثمان بن عفان ﷺ على علي ﷺ وقد قالوا من قدم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار بمعنى انتقص من حقهم وذلك في اجتماعهم ومشورتهم بتولية عثمان عليهم بعد وفاة عمر بن الخطاب ﷺ.

– وهناك طائفة اخرى من اهل السنة والجماعة ذهبوا الى تقديم علي على عثمان فهذا خطأ ولكن لا يشنع على صاحبه بانه شيعي لان كلمة شيعي لو اطلقت على عمومها يفهم منها الرافضة والرفض بمعنى ان اصحاب هذا المذهب يسبون الصحابة ويدعون ان في القران نقصا الى غير ذلك من معتقدهم.

وابن عبد البر من الاقدمين المشهورين من اهل السنة والجماعة فنقول ان ابن عبد البر وان وصف بالتشيع فانه يعني التشيع بمفهوم الاقدمين وليس كما هو متعارف عليه الان.

واما فيما يعلق بمحبته لأهل البيت فلا شك ان هذا شيء واجب على كل مسلم لقوله ﷺ : ((الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذي الله ومن آذي الله يوشك الله ان يأخذه)). ولا شك ان اهل البيت من ضمن الصحابة الذين وجبت محبتهم فلا تعني محبتهم إذا التشيع . ايضا هناك مزيه خص بها علي ﷺ في الحديث : ((فو الذي نفسي بيده لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق)) ولكن اذا زادت هذه المحبة لاهل البيت عن الحد المطلوب شرعا فانها تفضي الى تقديم علي على عثمان رضى الله عنهما ، ومن هنا يوصف الرجل بانه شيعي ولكن المقصود به التشيع عند المتقدمين الذي لا يصاحبه سب للصحابة ﷺ.

واما كون ابن عبد البر ذكر في كتابه ما شجر بين الصحابة ، فهذا لا يدل على انه شيعي، لانه ذكر ذلك على انه من الوقائع التاريخية ولم يقصد ذم احد من الصحابة ولا شك بان منهج اهل السنة الكف عما شجر بين الصحابة واعتبار انهم مجتهدون ، فمنهم من اجتهد فاصاب فله اجران ، ومنهم من اجتهد فاخطأ فله اجر ، ولا ينافي هذا ذكر ما وقع من باب الاخبار عن الوقائع التاريخية اذا كف الانسان عن تناول احد من الصحابة بسوء.

* منهج كتاب الاستيعاب :–

– رتب ابن عبد البر الاسماء على حروف المعجم لكن لم يراعِ سوى الحرف الاول من الاسم وما عدا ذلك لم يهتم به فقد يقدم اسم اسد على اسم اسامة ويقدم اسامة على من اسمه ازهر وهكذا مما جعل في كتابه بعض الصعوبة، ويراعي الفضل والشهرة والكثر.

– كما اننا نجده احيانا يفرق بين الاسماء فنجد مثلا اسم اسامة ثم نجد اسم اسد ثم يعود لذكر اسامة مما يظن الباحث انه لم يذكر اسامة الذي اتى بعد من اسم اسد ولم يترجم له.

وبما ان كتابه للصحابة فقط فقد قدم لكتابه بمقدمة عن فضل الصحابة وعما يتعلق بهم من الكلام ثم بعد ان انتهى من مقدمته ترجم للنبي ﷺ بترجمة لا باس بها ثم بدأ بعد ذلك بالصحابة والترجمة لهم.

٢- أُسد الغابة في معرفة الصحابة

لعز الدين ابي الحسن علي بن محمد الاثير الجزري ت ٦٣٠هـ .

يعتبر كتابه من احسن الكتب التي الفت وان كان لم يستوعب كل الصحابة ايضا والسبب ان الكتب التي سبقته استفاد منها واخذ منها وقد رتبه ترتيبا دقيقا فاهم مميزاته هي :-

(١) انه رتب تراجم الصحابة ترتيبا دقيقا حسب حروف الهجاء التي يبتديء بها كل اسم مثبتا مراجعه التي نبه عليها بالرمز ومراجع اخرى كثيرة في مختلف العلوم ذكرها بالاسم.

(٢) ضبطه بالحروف للاسماء المتشابهة التي تتفق رسما وتختلف نطقاً مثل نَعيم ونُعيم ومثل بَشير وبُشير بن كعب لانه لو ضبطها بالتشكيل فالحركات عرضة للخطأ فيقول بشير بضم الباء الموحدة.

(٣) صوب بعض اخطاء من سبقه في هذا العلم.

(٤) شرح الكلمات الغريبة التي وردت في ثنايا التراجم فوفر على القارئ مؤونة البحث عن الالفاظ الصعبة.

(٥) حفظ لنا كتابه هذا نصوص كتب فقدت ولا نعلم عنها شيئاً ونصوص كتب اخرى لم تطبع بعد.

سبب التأليف :-

يقول انه كان هناك بعض التقييدات لديه ومنعه من تقييدها كثرة الشواغل.

فسافر الى المقدس وعندما اجتمع ببعض اعيانها من المحدثين ألحوا عليه بالكتابه في هذا الموضوع نتيجة نقاش ولم تكن التقييدات كثيرة معه في ذلك الوقت فألحوا في الطلب فثار العزم الاول لديه وسال الله ان يوفقه الى خير القول والعمل.

منهجه في كتابه :-

لقد ذكر منهجه في مقدمة كتابه، فنجده قد ركز في المراجع التي اخذ منها على اربعة كتب وهي كتاب ابن منده وابي نعيم وابن عبد البر وابي موسى المديني وزاد عليها زيادات

وكان من امانته ودقته في كتابه انه كلما ذكر رجلا بيَّن من اين اخذه وقد رمز في اول كل ترجمة بحروف مقطعة ترمز لاسماء من تقدمه من المصنفين الذين ذكروا اسم ذلك الصحابي وهذه الرموز هي:-

(د) لابن منده ابي عبد الله محمد بن يحيى

(ع) لابي نعيم احمد بن عبد الله الاصفهاني

(ب) لابن عبد البر ابي عمر يوسف بن عبدالله القرطبي

(س) لابي موسى محمد بن عمر المديني

ثم ذكر في نهاية كل ترجمة اسماء المصنفين الذين ذكروا صاحب الترجمة وذلك خشية ان تسقط تلك الحروف ، فيقول خرجه الثلاثة مثلا قاصدا بذلك ابن عبد البر وابن منده وابا نعيم ، وليس يعني ذلك ان الترجمة التي في كتابه للثلاثة بل لاحدهم لكن الثلاثة ذكروه في كتبهم. ولا يقتصر على ما قالوه بل احيانا ياتي بما قاله اهل العلم غيرهم.

وبعض الاسماء ليست عليها أي علامات فليست مما خرجه أحد منهم. يقول :- ورايت ابن منده وابا نعيم لم يكثرا من نسب الشخص ولا من طبيعة اخباره واحواله، ورايت ابا عمر قد استقصى في ذكر الشخص وكان هذا هو المطلوب من الاحاديث ، اما طرق الحديث فهو بكتب الحديث اشبه إلا أني نقلت من قولهم اجوده وما هو افود في الترجمة ولم اخل بترجمة واحد منهم حتى اني اخرج الغلط مع التنبيه وابين الحق والصواب ان علمته . أ هـ.

- ثم بدأ يبين ترتيبه في الكتاب وهو في غاية الدقة فرتبهم على حروف المعجم بالنسبة للحرف الاول والثاني الى اخر الاسم ، وكذلك بالنسبة لاسم الاب والجد والقبائل ايضاً ، قال رحمه الله في المقدمة "واما ترتيبه ووضعه فانني جعلته على حروف أ ب ت ث ولزمت في الاسم الاول الحرف الاول والثاني والثالث وكذلك الى اخر الاسم وكذلك ايضا اسم الاب والجد ومن بعدها القبائل ايضاً "

وبعد ترتيب الاسماء ذكر الكنى مرتبة ثم النساء كذلك

كما قال : "انني اقدم ابان على ابراهيم لان بعد الباء في الاولى الف اما في الثانية راء واقدم ابراهيم على خلاد ... الخ".

٣- الإصابة في تمييز الصحابة

للحافظ ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ ، كتابه هذا هو اجمع كتاب في اسماء الصحابة واشمله وقد اطلع على كتب من تقدمه في هذا النوع من التصنيف واستفاد منها فهذبها ورتبها وتجنب ما فيها من اوهام وزاد عليها زيادات راها في بعض طرق الحديث او المصنفات الاخرى.

وقد رتبه ترتيبا دقيقا على حروف المعجم كما فعل ابن الاثير ورتب الاسماء ثم الكنى للرجال ثم اسماء النساء ثم كناهن الا انه اتى بتقسيم جديد لكل حرف في الاسم او الكنية زيادة على الترتيب على حروف المعجم فقسم كل حرف الى اربعة اقسام وهي :-

* **القسم الأول :-** جعله في الصحابة الذين ورد النص بصحبتهم اما بطريق الرواية عنهم او عن غيرهم كان يذكر الصحابي في حديث اخر مثل : كنت عند النبي ﷺ وعنده فلان وفلان ومثاله : عن طلحة بن عبدالله يقول جاء رجل من اهل نجد ثائر الراس نسمع دوي صوته ولا نعرف ما يقول فاذا به يسال عن الاسلام .. وهنا طلحة ابهم اسم الرجل ولكن نجد انسا قال نفس الرواية فقال : قال يارسول الله : انا ضمام بن ثعلبة . هذا الرجل لم يرو الحديث بنفسه لكن الذين رووا الحديث عنه هما طلحة وانس.

ويقول ابن حجر انه يذكرهم سواء كانت الطريقة صحيحة او حسنة او ضعيفة . فيقول ان هناك احاديث ورد فيها ان الرجل سمع من الرسول ﷺ ففيها اثبات صحبته للنبي ﷺ.

كما قال في مقدمته : وقد كنت اولا رتبت هذا القسم الواحد على ثلاثة اقسام ثم بدأ لي ان اجعله قسما واحدا واميز ذلك في كل ترجمة . أ هـ.

إذن يبدوا انه جعل القسم الأول ممن وردت صحبته بطرق صحيحة والثاني بطريقة حسنة والثالث بطريقة ضعيفة وهذا هو القسم الاول.

* **القسم الثاني :-** جعلهم فيمن ذكر من اطفال الصحابة الذين ولدوا في عهد النبي ﷺ من النساء والرجال ، ممن مات ﷺ وهو دون سن التمييز.

وهنا يبين التعريف الصحيح للصحابي وهو ممن رأى النبي ﷺ وهو مسلم ومات على ذلك. وهنا ابن حجر اعتبر الطفل من اطفال الصحابة مسلما لان المولود يولد على الفطرة واباء هؤلاء الاطفال بلا شك من خيرة المسلمين. وقد استشهد على ان هؤلاء الاطفال قد راوا النبي ﷺ وان الصحابة كانوا اذا ولد لاحدهم مولود يأتي للنبي ﷺ ليحنكه ويدعو له ويسميه وبما ان هذا العرف إذا كل مولود ولد بالمدينة يعتبر صحابي لتوفر دواعي الصحبة من إسلام ورؤية لإحضارهم للنبي ﷺ ليحنكهم ويسميهم . والاخبار بذلك كثيرة وشهيرة فمنها في صحيح مسلم انه كان يؤتى بالصبيان للنبي ﷺ ليحنكهم ويسميهم ايضا . وقلّ أن يولد لأحد مولود الا ويؤتى به للنبي ﷺ فيدعو له. واخرج ابن شاهين في ترجمة محمد بن طلحة بن عبدالله لما ولد محمد بن طلحة اتيت به للنبي ليحنكه ويدعو له وكذلك كان يُفعل بالصبيان.

* هنا القسم ميزه ابن حجر عن القسم الاول والفائدة من ذلك ان هذا الصنف من الرواة احاديثهم مرسلة لاحتمال انهم تلقوا من تابعي ، وجمهور المحدثين على انهم من كبار التابعين ويروون احاديثهم ويعتبرونها من

اقوى المراسيل وان عُضدت بغيرها ترتفع الى ما هو اعلى منها رتبة . واما الاصوليين فمنهم من يقبلها جملة لانها من كبار التابعين.

* **القسم الثالث :–** جعله ممن ذكر في الكتب المذكورة من المخضرمين الذين ادركوا الجاهلية والاسلام ولو لم يروا النبي ﷺ سواء اسلموا في حياته ام بعد وفاته ، وهؤلاء ليسوا بصحابة بالاتفاق حتى لو ادركوا الجاهلية والاسلام الا أنهم لم يروا النبي ﷺ وهم مسلمين ولو مرة ، فهم من طبقة التابعين أيضا.

– س – قد يقول قائل بما ان القسم الثاني اعتبر من طبقة التابعين والقسم الثالث من طبقة التابعين ايضا فلم لم يجمعهم في قسم واحد ؟!!

نقول لان القسم الاول لهم شرف الصحبة ومن ادخلهم في طبقة الصحابة لم يدخلهم الا لقرب طبقتهم من طبقة الصحابة على اختلاف في الرؤية اما من قال ان ابن عبد البر قد ذكر أنهم صحابة فقد غلط.

* **القسم الرابع :–** جعله فيمن ذكر في الكتب المذكورة على سبيل الوهم والغلط وبيان ذلك الوهم البيان الظاهر ولم يذكر في هذا القسم الا من كان وهمه بيناً اما في حالة احتمال الوهم فلا يورده لفقدان الدليل الا اذا غلب الاحتمال على الظن.

منهجه في الكتاب :–

الحافظ قدم بمقدمه زيادة على بيان منهجه ذكر فيها ثلاثة فصول:

اما الفصل الاول ففي تعريف الصحابي وتطرق للخلاف في ذلك ثم رجح احد الاقوال بقوله " واصح ما وقفت عليه من ذلك ان الصحابي من لقى النبي ﷺ مؤمنا به ومات على الاسلام ، فيدخل فيمن لقيه ممن طالت مجالسته له او قصرت ومن روى عنه او لم يروِ ومن غزا معه او لم يغز ومن رآه رؤية ولم يجالسه ومن لم يره لعارض كالعمى".

والفصل الثاني في الطريق الى معرفة كون الشخص صحابياً.

والفصل الثالث في بيان حال الصحابة من العدالة ثم ختمه بذكر اكثر الصحابة فتوى.

ثم شرع في ذكر الصحابة مرتبين على الأقسام السابقة وفي كل قسم يرتب الاسماء على حروف المعجم ترتيبا دقيقا مراعيا فيه الحرف الاول والثاني والثالث الى اخر اسم الراوي ثم اسم ابيه وجده وقبيلته ..الخ.

فان انتهى من القسم الاول في الحرف ابتدأ بالقسم الثاني من نفس الحرف ثم ان انتهى من كل الاقسام الاربعة انتقل الى الحرف الذي يليه.

ولم يقوم بترجمة للنبي ﷺ كما صنع ابن عبد البر وابن الاثير.

ومن منهجه في كتابه ان يذكر من خرّج حديث الصحابي المترجم له من اصحاب السنن وغيرهم من المصنفين في الحديث لذلك يهتم بنسب الصحابي ويذكر نموذجا او اكثر من الاحاديث التى رواها وربما ساق بعض اخبار الصحابي في الغزوات او الحوادث المهمة ويسجل وقت وفاته ان عرفه.

- وقد بلغ عدد من عرفوا باسمائهم في كتابة الاصابة ٩٤٧٧ ترجمة
- وبلغ عدد الذين عرفوا بكناهم ١٢٦٨ ترجمة
- وبلغ عدد تراجم النساء ١٥٢٢ ترجمة رتبهن مثل الرجال مبتدئا بمن عرفت باسمها ثم عرفت بكنيتها وهكذا.
- وعلى هذا فمجموع تراجم الكتاب بلغت ١٢٢٦٧ ترجمة

ولكن ليس كل من ذكرهم ممن ثبت صحبتهم على ما تقدم بيانه عند ابن حجر في مقدمته.

* اذاً نقول :-

اشهر الذين الفوا وصنفوا في الصحابة استقلالا اربعة وهم الذين اعتمدوا عليهم من تبعهم وهم:-

١) محمد بن يحيى بن ابراهيم المعروف بابن منده الاصفهاني (ت ٣٠١هـ)
٢) احمد بن عبد الله بن احمد ابو نعيم الاصفهاني صاحب كتاب حلية الاولياء ودلائل النبوة كتابه معرفة الصحابة (٣٢٦-٤٣٠)هـ.
٣) يوسف بن عبد الله ابو عمر بن عبد البر حافظ المغرب المولود بقرطبة سنة ٣٦٨هـ والمتوفى بشاطبة سنة ٤٦٣هـ وهو صاحب الكتاب المشهور (التمهيد) وغيره من المؤلفات ومؤلف في الصحابة المعروف هو (الاستيعاب في معرفة الاصحاب)
٤) محمد بن عمر الاصبهاني المعروف بابي موسى المديني من حفاظ الحديث ولد وتوفى باصبهان (٥٠١-٥٨١) وقد الف ذيلا كبيرا على كتاب ابن منده وهذه الكتب الاربعة اهتم بها من بعدهم كابن الاثير والذهبي عن جمع للصحابة.

فضل الصحابة

لأهمية الصحابة فقد افرد هؤلاء العلماء مصنفاتهم في الصحابة فقط فنقول في فضلهم : الصحابة كلهم عدول بتعديل الله سبحانه لهم في قوله تعالى :- ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي

الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح : ٢٩).

ايضا في قوله تعالى : ﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ثم قال :- ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ثم قال : ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر – ٨-٩-١٠) .

كما قال سبحانه وتعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ .

وقد جاء العديد من الاحاديث التي فيها النص بتعديلهم فمنها ما اخرجها بن حبان والترمذي : ((الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذي الله ومن اذي الله يوشك الله ان يأخذه)).

ايضا قوله ﷺ ((لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مثل احدهم ولا نصيفه)) رواه مسلم في صحيحه.

للفائدة

*** وأما أول من صنف في الصحابة :**

هما علي بن المديني ومحمد بن سعد صاحب الطبقات ولا ندري ايهم اسبق لكن لعل ابن المديني كان مشتغلاً بالصحابة اما محمد بن سعد فترجم للصحابة ضمن الطبقات فلم يفرد لهم ولكن حتى ابن المديني لا نقطع انه الف كتابه على وجه الاستغلال وليس معنى ما يدل على انه غير ذلك لقول ابن حجر في الاصابة :" ان من اشرف العلوم الدينية : علم الحديث النبوي ومن اجمل معارفه تمييز اصحاب رسول الله ﷺ ممن خلف بعدهم وقد جمع في ذلك جمع من الحفاظ تصانيف بحسب ما وصل اليه اطلاع كل منهم فاول من عرفته صنف في ذلك ابو عبد الله البخاري افرد في ذلك تصنيفا فنقل منه ابو القاسم البغوي وغيره. وجمع اسماء الصحابة مضمومة الى من بعدهم جماعة من طبقات مشايخه كخليفة بن خياط ومحمد بن سعد ومن قرنائه كيعقوب بن سفيان وابي بكر بن خثيمة . وصنف في ذلك جمع بعدهم كابي القاسم البغوي وابي بكر بن ابي داود وعبدان ومن قبلهم بقليل كمطين ثم كابي علي ابن السكن وابي حفص بن شاهين وابي حاتم بن حبان وكالطبراني ضمن معجمه الكبير ثم كابي عبد الله بن منده وابي نعيم ثم كابي عمر بن عبد البر وسمى

كتابه الاستيعاب لظنه انه استوعب مافي كتب من قبله ومع ذلك فقد فاته شيء كثير فذيل عليه ابو بكر بن فتحون ذيلا حافلا وذيل عليه جماعة في تصانيف لطيفة وذيل ابو موسى المديني ذيلا كبيرا ، وفي اعصار هؤلاء خلائق يتعسر حصرهم ممن صنف في ذلك أيضا، الى ان كان في اوائل القرن السابع فجمع عز الدين ابن الاثير كتابا حافلا سماه اسد الغابة جمع فيه كثيرا من التصانيف المتقدمة الا انه تبع من قبله فخلط من ليس صحابياً بهم واغفل كثيرا من التنبيه على كثير من الأوهام الواقعة في كتبهم ثم جرد الاسماء التي في كتابه مع زيادات عليها الحافظ ابو عبدالله الذهبي واعلم "بمعنى وضع علامة " لمن ذكر غلطاً ولمن لا تصح صحبته ولم يستوعب ذلك ولا قارب.

المصنفات التي رتبت على الطبقات

أصل مفهوم الطبقة أُخذ من قول النبي ﷺ:- "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم".
وليس معنى طبقة هو بالتحديد مائة سنة أو جيل كامل ولكن هناك اختلاف منهم من اعتبر الطبقة جيل مثل الصحابة طبقة والتابعين طبقة وتابع الاتباع طبقة وتابعيهم طبقة، ومنهم من يعتبر سن معينة طبقة، **مثل:**

الذهبي، يعتبر كل عشر سنوات طبقة، وفي التقريب يجعل ما يقارب ٢٠ الى ٢٥ طبقة، وهذا يختلف من مؤلف لآخر، ولكن يمكن أن نجد بعض التعريفات التي تحدد مفهوم الطبقة:-

- تطلق على الاتفاق في صفة معينة كالحفظ والاهتمام بالحديث أو الفقه او القراءة مع الاشتراك في الشيوخ والتلاميذ.

فهناك من ألف على هذا التعريف **مثل:** طبقات القراء لأبي عمر الداني، **ومثل** طبقات الفقهاء للشيرازي، **ومثل** تذكرة الحفاظ للذهبي .

وأمثال هذه الكتب التي جمعت هؤلاء المترجمين الذين يشتركون في صفة مخصوصة ورتبتهم على الطبقات بحيث يتقاربون في سن معينة، ويحدد ذلك اشتراكهم في الشيوخ والتلاميذ، وأما الكتب التي رتبت المحدثين، بمعنى: -كل من روى الحديث رتبهم على الطبقات-، فهي كتب متعددة وسنتناول هنا بعض أهم تلك الكتب لأنها هي التي تهمنا في بحثنا هذا.

فأقدم كتاب وصل الينا هو :

١- الطبقات الكبرى

لأبي عبد الله محمد بن سعد كاتب الواقدي المتوفى سنة ٢٣٠هـ.

يقع الكتاب في ثمانية مجلدات، إلا أنه يلاحظ أن في المطبوع من هذا الكتاب نقصاً استدرك بعضه، بعض الدارسين في الجامعة الاسلامية فأخرج منه ما يتعلق بأهل المدينة .

وسيكون كلامنا بحسب المجلدات الثمانية المشار اليها.

فإن ابن سعد تناول في المجلد الاول والثاني من كان يفتي بالمدينة، ومن جمع القرآن الكريم على عهد النبيﷺمن أصحابه، وذكر من كان يفتي بالمدينة من بعد الصحابة -رضى الله عنهم-.

وقد اهتم ابن سعد بتراجم الصحابة والتابعين والأتباع من المتقدمين فنجده يطيل الترجمة ذاكرًا نسب الشخص مفصلاً في أخباره، وأحواله الدالة على مكانته في العلم، أو على درجة ورعه وتقواه، أو على

ميوله وعقيدته، مما له أثر في توثيقه، وقبول روايته، ومما يمكن أن يُلاحظ ان ابن سعد أطال ترجمة بعض الصحابة، ومن تلاهم، وأوجزَ كثيرا في تراجم المعاصرين له فلعل ذلك يعود الى دور الصحابة والتابعين في الرواية مما جعل لأحوالهم وأخبارهم والتعريف بهم أهمية فائقة.

– ويعتبر ابن سعد من أئمة الجرح والتعديل الذين يُعتد بقولهم ولذلك فأحكامه على الرواة توثيقاً وتضعيفاً وجرحًا وتعديلاً له أهمية عظيمة ينبغي لكل طالب علم أن يتنبه لها.
– ومما يمكن أن يلاحظ على تقسيم ابن سعد أنه اختلف في تقسيمه للصحابة، فقيل أنه جعل الصحابة على ثلاث طبقات وقيل أنه جعلهم خمس طبقات، وقد اعتبر في تقسيمهم السابقة في الاسلام .
فقد جعل **البدريين** طبقة أولى ،**والمسلمين الاوائل ممن شهد أُحدًا مما بعدها من المشاهد** طبقة ثانية وأُلحِق بهم **من أسلم قبل الفتح**، ولم يذكر ابن سعد من أسلم بعد الفتح حيث يكونوا حسب ترتيبه الطبقة الثالثة.

وقد راعي ابن سعد ايضا في كل طبقة من هذه الطبقات تقسيمًا آخر، فنجده يفصل المهاجرين عن الأنصار، ولعل هذا ما دعا مثل **العراقي** إلى أن يقول **أنهم قسمهم إلى خمس طبقات،**
فلو سئلنا عن ذلك نقول: أنه قسمهم الى ثلاث طبقات، فالطبقتين الأولى والثانية قسم كلاً منها إلى قسمين فأصبحوا أربعة أقسام مع القسم الثالث أصبحوا خمسة اقسام، فالقسم الأول كان في البدريين وقسمه إلى المهاجرين والأنصار، أيضًا في الثانية الذين شهدوا أُحدًا وما بعدها من المشاهد قسمها الى المهاجرين والأنصار، وأما الثالثة فلمن أسلم بعد الفتح من سائر العرب، وللحافظ العراقي إذن وجهة نظر عندما قال أن ابن سعد قسم كتابه خمسة أقسام .

* فوائد تقسيم الكتاب على الطبقات :–

(١) أن التمييز بين طبقات الصحابة والتابعين ومن بعدهم له علاقة بنقد السند فهو وسيلة لمعرفة مافي الحديث من إرسال او انقطاع، وما إذا كان الحديث موقوفًا أو مقطوعًا أو معضلاً أو مُدلسًا.
(٢) وبمعرفة طبقات الرواة أيضًا يمكن التمييز بين الاسماء المتشابهة والمتفقة، فقد يتفق اسمان في اللفظ فيظن أن أحدهما الآخر، فإذا أردنا التمييز بينهما فينبغي معرفة طبقتهما إن كانا من طبقتين، فإن كانا

من طبقة واحدة فربما أشكل الأمر، وربما عرف ذلك بما فوقه، أو دونه من الرواة، أي: بمعرفة التلاميذ والشيوخ للراوي فربما كان احد المتفقين في الاسم لا يروي عمن روى له الآخر.

فإن اشتركا في الراوي الاعلى، وفيمن روى عنهما فالاشكال حينئذٍ أشد، وإنما يميز ذلك أهل الحفظ والمعرفة.

وبسبب الجهل في الطبقات غلط غير واحد من المصنفين، فربما ظن راويًا راويًا آخر غيره، وربما أدخل راويًا في غير طبقته.

ومثال ذلك الإسناد التالي: حدثنا معن عن مالك ، فنحن من خلال كتب التراجم نعرف أنه معن بن عيسى القزاز وبغيرها قد نظن انه معن بن يزيد الصحابي الجليل.

– ويحدث الإشكال إن كان الراوي وشيخه باسم واحد مثل سفيان الثوري وسفيان بن عيينة كلاهما ثقة وهنا يخف الإشكال لتوثيقهم ولكن عمن أخذا **مثاله:** روى سفيان عن السبيعي أبو إسحاق السبيعي اختلط وسفيان بن عيينة روى عنه قبل الاختلاط، وأما سفيان الثوري فقد روى عنه بعد الاختلاط، هنا وجد أن الراويان متفقان في الاسم وكلاهما أخذا عن شيخ واحد فكيف نعرف أيهما الذي روى قبل اختلاطه، وايهما الذي روى بعد اختلاطه ؟.

إذن ننظر للتلاميذ الذين اخذو عنهما فإن كان التلميذ الحميدي صاحب المسند عرف أنه سفيان بن عيينة وان كان الذي روى عنه وكيع عرف انه سفيان الثوري ولكن لو كان التلميذ تلميذًا روى عن الاثنين، **مثل:** عبد الرزاق هنا حدث الإشكال ولا يعرفه إلا الحفاظ واهل المعرفة.

٢– كتاب تذكرة الحفاظ

لأبي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ.

فكان مقصود الطبقة عنده أنه خصصه في طبقات حفاظ الحديث فقط فقال في مقدمة كتابه –رحمه الله–: "هذه تذكرة بأسماء مُعدّلي حملة العلم النبوي ومن يرجع الى اجتهادهم في التوثيق والتضعيف والتصحيح والتزييف".

فمقصود الحفاظ في كتابه هم من يُرجع إليهم، ومن يعتمد قولهم في الجرح والتعديل والتوثيق والتضعيف، وقد رتب هؤلاء الحفاظ على الطبقات فجعلهم الى ٢١ طبقة، وجعل في كل طبقة عددًا معينًا من الرواة الذين عرفوا بالتعديل والتجريح.

والطبقة عنده: هي التي تتقارب في السن والشيوخ وانتقى من هذه الطبقات من عرف في الرجال جرحًا وتعديلاً.

- ومن الامور التي ينبغي التنبيه عليها هو أن الذهبي يطلق على تراجمه عبارات جيدة مثل إمام حافظ ثقة ... إلخ

وإن كان في الراوي شيء من الكلام نبه عليه فقد يكون ذلك من الذين تكلموا فيه جرحًا وتعديلاً، ومع ذلك يتكلم فيه فإن كان هذا الحافظ مشهودًا بعدالته فإن أطلق في راوٍ جرحًا او تعديلاً يعتد بكلامه وقد يكون ضعيفًا في الحديث، ولكن يؤخذ بتجريحه للرواة وتعديله لهم **مثل:** أبي حنيفة كان ضعيفًا في الحديث ، وهو ممن أطلق عبارات على بعض الرواة جرحًا وتعديلاً فنجده كذب كلام جابر الجعفي واعتبروه كلامًا مؤثرًا في جابر رغم ضعف أبي حنيفة في الحديث.

جاء بعد الذهبي ثلاثة تلاميذ ذيلوا على هذا الكتاب كي تتم الفائدة منه وهم:

١-الحسيني المتوفى سنة ٧٦٥هـ جعل ذيلا لهذا الكتاب ضم فيه الذين لم يذكرهم في التذكرة.

٢-ثم اتى بعده ابن فهد المكي المتوفى سنة ٨٧١هـ فعمل ذيلا اخر زاده على الحسيني وهم الذين كانوا في الفترة ما بين الحسيني وابن فهد لبعد المدة الزمنية.

٣-ثم جاء بعدهم جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ فضم في ذيله للكتاب بعض الحفاظ إما من الذين قد فاتوا المتأخرين منذ جمعهم أو أتو بعدهم، فأصبح للكتاب ثلاثة ذيول مطبوعة مع الكتاب نفسه وقد ضم الكتاب مع ذيوله الثلاثة مشاهير حفاظ السنة من القرن الأول إلى العاشر.